المعلمون رواد الصحوة الفكرية للثورة الإسلامية وصانعو هويتها

الوفاق/ وكالات

كان من أهم أنشطة المعلمين في حركة الإمام الخميني (قدس)، إلى جانب النضالات السياسية، النضال الفكري والثقافي ضد النظام البهلوي. فقد نفذ المعلمون في هذا المجال أنشطتهم عبر زيادة الوعي العام، وفضح النظام البهلوي ومحاولة خلق هوية جديدة.

رواد تيار الوعي والصحوة الفكرية

تُظهر نظرةً عامة على تاريخ الثورة الإسلامية أن المعلمين كانوا من بين القوى الرئيسية والرائدة ورواد الحركة في سياق الكفاح ضد استبداد النظام البهلوي في ذلك الوقت، ورواد النهضة. فلقد حولوا الفصول الدراسية بشكلٍ عام إلى مراكز للتعليم السياسي والأيديولوجي، وكانوا حاضرين مباشرةً مع الطلاب أثناء الثورة.

على سبيل المثال، كان المعلمون والمربون في محافظة "كرمان شاه" من أكثر المجموعات والشرائح الاجتماعية تأثيراً والتي لعبت دوراً مهماً في تقدم الثورة الإسلامية، فقد سعت هذه المجموعة خفيةً وعلناً للنضال والتنوير وتوعية المراهقين والشباب بمسار الثورة، وكان تنظيم الجماعات المناضلة، وعقد الاجتماعات الأسبوعية، ونشر الوعي السياسي للشعب من بين المهام الحاسمة لهذه الطبقة الكادحة. كما حاول التربويون المناضلون في محافظة "همدان" توعية الشباب ومنعهم من التوجه إلى مراكز الفساد، مثل "قصر الشباب"، عبر إنشاء المكتبات وتشجيع الطلاب على الدراسة والبحث.

وكذلك تُظهر وثائق السافاك السرية أن مشاركة الطلاب في المظاهرات المؤيدة للثورة الإسلامية نابعةً من تعاليم المدرسين والمعلمين، وأن المدرسين والمعلمين الذين قاتلوا بخطبهم الثورية أمنوا الأرضية لمشاركةٍ واسعةٍ للطلاب في المظاهرات.

دور المعلمين في ساحة النضال الفكري والثقافي

بسبب انتشار الأفكار الغربية وانتشار الفسق والفجور في المجتمع، لعبت المعلمات الإيرانيات دوراً مهماً وبارزاً، في ميدان النضال ضد النظام البهلوي وخاصةً في السنوات الأخيرة من الحكم القمعي، فقد قمن بتهيئة الطالبات للحفاظ على الأدب الثوري وحمايته بتأثير من الأنشطة الثقافية التي قُمن بها، وقد شجعن على الحجاب باعتباره تقليداً وقيمة إسلامية، هذا وقد استقبلت الفتيات والنساء الإيرانيات الحجاب بالترحاب منذ منتصف السبعينيات. لذا تسبب وجود الطالبات المحجبات في طهران والمدن الكبيرة والصغيرة في إثارة قلق الوكلاء الثقافيين للنظام البهلوي. لذلك في عام ١٩٧٦م، عندما التقى أمير عباس هويدا بمعلمي كاشان، ارتدى جميع أعضاء الكادر التربوي "الشادور" أي العباءة في لقاءهم مع الأمير.

أمّا فيما يتعلق بوعي المعلمين، فتنص إحدى وثائق السافاك على ما يلي: "ناظميان" ، مُدرسة ثانوية مهرجان للبنات في "سمنان" ، في العام ١٩٧٨م قالت في كلمتها أمام طالبات المدرسة :" إنني لا أستطيع أن أهنئكن لأسباب تعرفنها، ليس عندنا عيد لا يسعني إلا أن أخبركن أنه ليكن النجاح حليفكن في مساعيكن"، وفي إشارة إلى أحداث تبريز قالت: "هذا العام كان يوم العيد حداداً وطنياً وليس عيداً، ثم ذكرت بعض الأسماء ومدحتها مثل آية الله سيد "أحمد زيارتي" وميرزا " حسن سيادتي" وشيخ "نجات" والإمام "الخميني(قدس)". ويتابع التقرير أن الحركة بدأت منذ بعض الوقت: "منذ فترة، كان مُدرس يدعى" شاهورانى" يفعل الشيء نفسه بين الطلاب الذين طردوا من تعليم دامغان". تذكر وثائق السافاك أيضاً: "علي مراد كيبور"، مُدرس الصف الخامس في إحدى المدارس الابتدائية، وهو متشدد دينياً، يُحرض ويدعو الطلاب تحت عناوين مختلفة لتمزيق صورة أول شخص في البلاد."

فضح النظام البهلوي

بالإضافة إلى ضخ الوعي في جسد المجتمع المحبط، قام مدرسون مسلحون وثوريون في إيران، باستخدام الوسائل السمعية والبصرية، لكشف الحقائق المخفية والجرائم وخيانات عملاء النظام البهلوي، وذلك جنباً إلى جنب مع المثقفين والمفكرين الدينيين، وتحملوا مسؤولية فضح تصرفات حكومة البهلوي.

ومن أبرز هؤلاء كان دور آية الله "طالقاني" والدكتور "محمد جواد باهنر" والدكتور "علي شريعتي" و"محمد علي رجائي"وآية الله الدكتور "بهشتي" الذي كان له دورٌ بارز ومميز في هذا المضمار. على سبيل المثال، لم تقتصر المحاضرات والجلسات الثقافية والتوعوية لأية الله "طالقاني" حول تفسير ومبادئ معتقدات على المسجد أو مكان معين، فهو كان يقوم بواجبه التوعوي والتبييني في أي زمان ومكان، فقد كان في سعيٍ دائم لتوجيه وتصحيح أفكار ومعتقدات الناس، كان حاضراً بشكلٍ دائم للتوعية وكشف الحقائق، حتى وصل الأمر إلى دعوته لإلقاء خطاب في إذاعة طهران.

أخرى من إيران في الأشهر الأخيرة من النظام البهلوي، وعلى سبيل المثال، خصص مدرسو مدينة "كنبد قابوس" يوماً واحداً من رواتبهم لمساعدة الناجين من شهداء "غاليكش"، والتي سميت إحدى مدارس هذه المدينة فيما بعد بمدرسة الشهداء تكريماً لهؤلاء الشهداء الذين سقطوا فداءً لإيران والثورة.

محاولة إنشاء هوية جديدة

في السنوات ١٩٦١-١٩٧١م، أدى بروز العنصر القومي للهوية الإيرانية وقلة الاهتمام وإهمال العنصر الديني إلى رد فعل بعض المثقفين والمفكرين الإيرانيين الذين تصدوا بطريقة ما لاستغلال العنصر الوطني للهوية الإيرانية وأعادوا الحياة الروحية والعنصر الديني لها.

كان الإمام الخميني(قدس) أول معلم للثورة أعاد قراءة النصوص الإسلامية وحاول تصميم هوية جديدة. كانت مهمة الإمام الخميني(قدس) الأولى في السنوات الأولى من النضال هي توعية الناس وتغيير عقول الأفراد في المجتمع للعودة إلى معتقداتهم الدينية والأصيلة ونبذ القيم الغربية، واستبدالها بالإيمان بالذات والثقة بالنفس، وذلك بإزالة غبار الاغتراب والتدمير الذاتي في مواجهة الثقافة الغربية. بعبارةٍ أخرى، قام الإمام الخميني (قدس) كما قام به النبي الأكرم (ص) إذ أنه (ص) استخدم القوة الروحية والسياقات السياسية والدينية، فقد قاد الإدارة الثقافية لعصره ووجهها، وذلك عبر تغيير دوافع وأهداف العرب الجاهليين، فقد أعطى اتجاه روحي للمجتمع ، وأحياه على أساس القيم الإلهية. كما يمكننا أن نذكر أشخاصاً مثل الدكتور "علي شريعتي" وآية الله "مطهري" كمعلمين بارزين ومفكرين، اهتموا بمعالجة أزمة الهوية التي كانت نتيجة الخطاب الغربي للحكومة البهلوية بالاعتراف بالهوية الإيرانية الإسلامية وفي إطار الخطب والكتابات، وقادوا المجتمع المتنوع، وخاصةً الشباب، إلى المدينة الفاضلة الدينية.

فقد تعمق آية الله "مطهري"، أحد أهم منظري رجال الدين الثوريين في مناقشاته وأعماله، وعبّر عن البُنية التحتية الفكرية والأسس الفلسفية للإسلام، وأطلق على عصر الانتظار العصر البناء والملزم والتنشيط والتعبئة، وقام بتعريف العلاقة بين الإسلام وإيران على شكل الخدمات المتبادلة.

الشهيد مطهري.. الإسلام يمتلك كافة الحلول لمشاكل وقضايا المجتمع

في نضاله الأيديولوجي والفكري والثقافي ضد الأفكار وغزو الثقافة الغربية، استخدم آية الله مطهري

> تظهر نظرة عامة على تاريخ الثورة الإسلامية أن المعلمين كانوا من بين القوى الرئيسية والرائدة ورواد الحركة في سياق الكفاح ضد استبداد النظام البهلوي في ذلك الوقت، ورواد النهضة. فلقد حولوا الفصول الدراسية بشكلٍ عام إلى مراكز للتعليم السياسي والأيديولوجي، وكانوا حاضرين مباشرةً مع الطلاب أثناء الثورة

نهجين قصير المدى وطويل الأجل، وكلاهما مفيد وفعال في مكانه. في نهجه الأول أولى مزيداً من الاهتمام لمظاهر الثقافة الغربية وحاول إثبات ضعف المظاهر الموضوعية للثقافة الغربية عبر كتابة الكتب والمقالات وبأسباب منطقية وسردية. في النهج الثاني، تناول أيضاً أسس الفكر والثقافة الغربيين. كما سعى إلى أن يوضح لجميع المقاتلين والقوى الثورية أن الإسلام له حل لجميع الفترات والأعمار ولكافة مشاكل وقضايا المجتمع البشري. وتشكلت بلورة هذا الجهد في أعمال كالإسلام ومتطلبات العصر في قضية الحجاب.

إنّ جواب شريعتي لتجاوز أزمة التخلف والانحطاط هو العودة إلى الذات. بالطبع، العودة من وجهة نظر "شريعتي" كان له نهجٌ ثقافي، وكان يعني العودة إلى الثقافة الدينية والروحانية. وأعرب عن قلقه بشأن الاغتراب الثقافي، وشدد على الاعتقاد بأننا نواجه اليوم عالماً ينتشر فيه تدمير الذات والانحطاط وإنكار الأصالة وتفكك ثقافتنا وتاريخنا. إذا لم ندرك عوامل الخطر هذه ولم نكن مجهزين برأسمال روحي خاص بنا ووعينا الفكري وتراثنا التاريخي الغني وإيماننا وقيمنا الأخلاقية لمقاومتها، فسنبقى عُزل وسنخضع لتحول ثقافي. ووفق الدكتور "شريعتي"، فإن التفاعل الطبيعي للأمة الإيرانية مع دين الإسلام بعد انفصالها عن دين زرادشت القديم كان عميقاً لدرجة أن فصلها كان مستحيلاً ولا يمكن تصوره، وبالتالي فإن الهوية الإيرانية لم تكن إلا مسلمة إيرانية.

ودعا الدكتور "شريعتي" كافة شرائح المجتمع للعودة إلى الثقافة الإسلامية، ووضع أسس أيديولوجية جديدة ضد الثقافة البهلوية، ما مهد الطريق لاستمرار النضال على أساس النموذج الديني والإسلامي.

وبالتالي، يمكن القول أنه من وجهة نظر هذا الخطاب، فإنّ الخطاب الرئيسي للمقاومة، الذي سعى إلى تأصيل مبادئ ومكونات الهوية الأصلية في سياق العودة إلى نفسها، كان قادراً على تفكيك عناصر الهوية الأصلية والتشكيك في نظام الخطاب البهلوي في إطار إبداعي بديل يوفر حركة اجتماعية واسعة في المجتمع. هذا ولا شك أن دور المعلمين وحضورهم في هذا المجال كان مبهراً ومؤثراً للغاية، فهم لم يكتفوا بتوجيه إمكانات الطلاب لأهداف ومُثل الثورة باستخدام القوة الفكرية للمفكرين وقوة تفكيرهم ومبادراتهم، بل بدلاً من ذلك قد جعلوا أبرز أسلحتهم الكلام والتعبير عن قطاعات سلبية ومعزولة من المجتمع ولكنها مهتمة بمسار الثورة، وهم تسببوا بعملهم هذا في انتشار الخطاب الديني.

نحن والمجتمع

الشهيد محمد بجيجي أستاذ المقاومة

الوفاق / وكالات - لقبٌ أطلقه عليه سماحة أمين عام حزب الله السيد حسن نصر الله (حفظه الله)، "أُستاذ المقاومة"، وأضاف "كان أستاذًا مُعلّمًا يقف أمام طلابه بأمانة ومسؤولية، استطاع أن يكون قائدًا في العمل التربوي وفي كسر حواجز الخوف ورفع المعنويات، واستنهاض هِمم الناس وبعث الأمل في قلوبهم والنفوس وصولًا الى مرحلة المُجاهد الذي يحضر في الصفوف الأمامية، ويُلبّي نداء الواجب في الدفاع عن أهله وشعبه دون أيّ تردّد". في عام النكبة عام ١٩٤٨م وُلد محمد بجيجي في مشغرة. تفوق علميًا فانصرف إلى التدريس إثر التحاقه بدار المعلّمين، وبعد أن أنهى دراسته عاد إلى بلدته مشغرة ومدرسته الرسمية ليكون معلماً فيها. انطلق الشهيد في عمله الإسلامي ضمن النادي الإسلامي عبر اللجنة الثقافية في مشغرة، وأخذ يعمل على إنشاء نواة العمل الإسلامي، وكان دائم السعي لفعل ما يرضي الله (تبارك وتعالى)، فقد شارك في دورة عسكرية في عين التينة عام ١٩٧٤، ولمّا انتقل إلى بيروت لمتابعة دراسته في كلية الحقوق هذه المرة، تابع نشاطاته عبر اللجنة الثقافية الإسلامية في الشياح وأسس مع إخوة له آخرين مكتبة الشهيد مطهري.

إعلان الولاء والانتماء للثورة الإسلامية وقائدها

لم يكن شهر شباط من ١٩٧٩ م عاديًا بالنسبة للشهيد أبو حسن، لم تكن الدنيا تسعه بما رحبت، يوم انتصرت الثورة الإسلامية المباركة في إيران، مباشرةً بادر الشهيد إلى تنظيم مسيرة في بلدته معلناً أمام أهله الولاء الكامل لهذه الثورة وقائدها الإمام الخميني (قدس). لم يمرّ الكثير، حتى اجتاحت قوات الاحتلال بيروت عام ١٩٨٢، يومها خرج الحاج الشهيد ليحرّض الناس على ضرورة مواجهة هذا العدو مهما كانت الإمكانات ضعيفة، فانتقل إلى بلدة النبي شيت مع عائلته، وبدأ العمل والتنسيق مع إخوته من قادة ومجاهدي المقاومة الإسلامية، وحرس الثورة الإسلامية، والتحق بدورة عسكرية كانت نقطة البداية في عمله العسكري والجهادي، حيث تألق وتميّز بإخلاصه وإصراره، وبثّ الروح والمعنويات في نفوس المجاهدين، فتم اختياره لإلقاء الدروس العقائدية والسياسية في الدورات التدريبية. عمل على تشكيل وتسليح العديد من المجموعات التي كانت النواة الأساسية للعمل الجهادي في البقاع الغربي، مع إخوانه الشهداء نصّار نصّار، رضا الشاعر، علي مرعي وغيرهم.

أفول نجم مشغرة

دنت الساعة، نجمُ مشغرة يقترب من الأفول، ١٣ تموز ١٩٨٨. استعدّ أبو حسن للمعركة الآتية، علم أن الصهاينة قرب تلّة الديدبة في أحراج بلدة زلايا، فاستبشر خيرًا، انطلق بسرعة مع مجموعة مجاهدين. توضّأ وصلّى ودعا دعاء الإمام زين العابدين(ع) راجيًا في نهايته الشهادة. بدأت خطّة الهجوم، تقدّمُ للمقاومين على عدّة محاور باتجاه الصهاينة. دارت اشتباكات عنيفة بين الجانبيْن، ثمّ باغتت مجموعة القائد القوة المعادية مُحقّقة إصابات بليغة في صفوفها. تابع الشهيد مسيره راميًا قنابله الثلاثة ومُفرغًا مخازنه أيضًا، وبينما كان يُطلق عدّة طلقات أُصيب برأسه فقضى شهيدًا على الفور، مثلما تمنّى تمامًا، تاركًا قلوب المؤمنين في أسى.